

محاضرة مفرغة بعنوان

أسباب

الاستعجال

السيرة في الحديث عن عبد الله بن مسعود



المركز الإسلامي
بجامعة القادسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل نعمه وعطاياه، وأسأله التوفيق لِمَا يُحِبُّه ويرضاه أحمده تعالى على سابغ نعمه، وأشكره، وأسأله المزيد من فضله، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن صار على نهجه واقتدى بهديه صلى الله عليه وسلم، مرحباً بالإخوة في إذاعة طلاب العلم الشرعي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هذه مُحاضرة بعنوان "أسباب السعادة" جعلني الله وإياكم من السعداء في الدنيا والآخرة أقول وبالله التوفيق كل إنسان في الحياة لا شك أنه يسعى إلى السعادة فهي مطلبٌ لجميع الناس لكن هل سأل الإنسان نفسه أين توجد هذه السعادة؟

والجواب: أن الإنسان لن يجد هذه السعادة أبداً إلا عند واهبها وهو الله جل وعلا، وكلما اقترب العبد من ربه كلما زادت سعادته واطمأنت نفسه وسكن قلبه، وكلما ازداد فرحاً، وسُروراً، وحبوراً، وكلما اقترب من الله اقترب الله منه قُرْباً يليقُ بجلاله وعظمته، وفي الحديث القدسي يقول الله جل وعلا: "من تقرب مني شبراً تقربتُ منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربتُ منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولاً". والعبد إذا حزبه أمرٌ أو أهمله فزع إلى ربه العليم بحاله وما يُصلحه فزع إليه، واقترب فعفر جبهته بالأرض ساجداً ذلاً وانكساراً بين يديه. والله تعالى يقول: "واسجد واقترب". فعبر الله عز وجل هنا عن الصلاة بالسجود لأنه أعظم أركانها أو من أعظم أركانها فإذا سجدت يا عبد الله فأنت أقرب ما تكون من ربك كما ثبت في الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وفي هذا دليلٌ على أن الله تعالى قريب من العابدين فكلما ازدادت عبودية لله وإخلاصاً له وخضوعاً كلما ازدادت قُرْباً من رب العالمين ومن أسماء الله تعالى القريب فهو قريبٌ من عباده المؤمنين يحفظهم وينصرهم ويعينهم ويسددهم ويجيب دعاءهم ويوفقهم ويهديهم.

إذا فالسعادة يا عبد الله لن تجدها إلا في القرب من الله.

والسؤال المهم هنا: كيف نحظى بهذا القرب لنكون من السعداء في الدنيا والآخرة؟

والجواب: أن أول تلك الأسباب التي تُقربك من الله أن تعمر حياتك بالإيمان والعمل الصالح كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الحياة الطيبة هي الحياة السعيدة". اه، فهي سعادة يقذفها الله في قلوب عباده الصالحين ولو ضاقت بهم الدنيا فالله عز وجل معهم يحفظهم ويعينهم ويهديهم ويسددهم ويصلح حالهم وصلاخ القلب سببٌ لحلاوة الإيمان، وسببٌ للذة الطاعة والسعادة فإن الإيمان أيها الإخوة له طعمٌ وحلاوة كما قال صلى الله عليه وسلم: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا أَيْ وَجَدَ حَلَاوَتَهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ).

والرضا أيها الإخوة الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا ونعيمها ومُستراحُ العابدين فالرضا عن الله، وعن شرعه، والتسليم لقضائه وحكمه يُثمرُ رضا الله عن عبده يقول ابن القيم رحمه الله: "رضاه عن ربه سبحانه وتعالى في جميع الحالات يُثمرُ رضا ربه عنه". اه

وما أعظمها من ثمرة وفائدة أن يرضى الله عنك فالخير كله في الرضا كما قال عمر رضي الله عنه لأن الرضا جوهر السعادة وعنوان الفلاح وبه يجد العبد حلاوة الإيمان وكلما امتلأ القلب بالرضا عظمت الحلاوة وازداد الإيمان فمن رضى عن الله رباً وجد حلاوةً في طاعته ولذة في البُعد عن معصيته ومن رضى بالإسلام ديناً وجد

حلاوة في اتباع شريعته والعمل بها والتحاكم إليها ومن رضى بالنبي صلى الله عليه وسلم رسولاً وجد حلاوة في اتباع سنته والتزام هديه ومن كان كذلك فلا يجد مشقة في أداء الفرائض والمحافظة على النوافل وكثرة التطوعات والذكر لأن لذته وأنسه وراحته في ذلك ولن يعسر عليه البعد عن المعاصي وبغضها وإنكارها لأنها تُسفد عليه هذه الحلاوة وتُفسد عليه طعم الإيمان الذي يحسه ويجده في قلبه والمسلم يردد هذه الدعوات:

رَضِيتُ بِاللّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا يُردها بعد كل آذان لترتبط بقلبه وتتعلق به أو يرتبط بها قلبه ويتعلق به بل ويردها في كل صباح ومساء وقد جاء في الحديث: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، والحديث حسنه الحافظ ابن حجر وحسنه العلامة ابن باز رحمهما الله تعالى، ومن كان هذه حاله يلهج بهذا الدعاء ويرتبط بقلبه ويعيشه في حياته واقعا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة بأن يؤمنه ويدخله الله في رحمته بقول ابن تيمية رحمه الله: "والقلب فقير إلى الله من وجهين: من جهة العبادة، ومن جهة الاستعانة والتوكل، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يُسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه، وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه وبذلك يحصل الفرح والسرور واللذة والنعمة والطمأنينة". اهـ ويقول ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ابن تيمية رحمه الله يقول: "إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك فاتهمه!" أي اتهم هذه العمل فاتهمه! فإن الرب تعالى شكور؛ يعني: أنه لا بد أن يثيب العامل عن عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول ويقول أيضا رحمه الله: "ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبهه والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلى لقائه، فهذه جنته العاجلة - يعني في الدنيا - ، كما أنه لا نعيم في الآخرة ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة"، ثم قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة"، ويقول أيضا رحمه الله: "ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يُزيلها إلا الأنس في خلوته وفيه حُزن لا يُذهب إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته وفيه قلق إلا الاجتماع عليه والفرار إليه وفيه فيه نيران حشرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه"، إلى أن قال: "وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره وصدق الاخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تُسد تلك الفاقة منه أبداً". اهـ رحمه الله .

والإيمان أيها الإخوة: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فعلى العبد أن يحرص على زيادة إيمانه ويجتهد في ذلك ليزداد إيمانه فيزداد قربا من الله جل وعلا.

يقول أبو الدرداء رضى الله عنه: "من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص". اهـ رضى الله عنه.

ولهذا حرص السلف الصالح رحمهم الله على زيادة إيمانهم فكانت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم لله تعالى فكان أحدهم يحتسب نومه وقيامه يعني استيقاظه من نومه يحتسب ذلك عند الله.

وإن من أعظم ما يزيد الإيمان ويقويه أمور لعلني أذكر شيئا منها.

أولها: التوحيد وإخلاص الدين والعبادة له فانظريا عبد الله انظر أيها الأخ المسلم لما دعا ابراهيم عليه الصلاة والسلام دعا قومه إلى التوحيد وأخبرهم أن هذه الآلهة لم تنفهم شيئا ولا تنفهم شيئا هدهد بآلهتهم وأنها ستزل به ما تنزل وأنها ستضره فقال لهم كما في كتاب ربنا جل وعلا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾. ثم قال لهم: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

يقول ابن كثير رحمه الله: "أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة"، وهذه الآية قد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم أعني فسر الظلم هنا فسر به بالشرك فأهل الإيمان أيها الإخوة أهل الإيمان الكامل وتوحيدهم بشرك لهم الأمن التام والهداية التامة وبقدر ما

يحقق الإنسان بقدر ما يحقق العبد الإيمان والتوحيد يكون أمنه وهدايته وبقدر ما ينقص من إيمانه وتوحيده ينقص كذلك أمنه وهدايته.

والأمر الثاني: الذي يزيد الإيمان ويقويه معرفة العبد الله تعالى وبأسمائه وصفاته فكلما ازداد العبد معرفته بربه وبأسمائه وصفاته كلما ازداد إيمانه فأخشى الناس لربهم أعرفهم به وأعلمهم به ففي الحديث: **(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).**

وإحصاؤها يكون بثلاث: بمعرفتها وبفقه معناها وبالتعبد لله تعالى ودعائه بها، فإذا أردت زيادة إيمانك وسعادة قلبك فتعرف على الله بأسمائه وصفاته وتفقه في معانيها وتعبد الله عز وجل بها وادع الله تبارك وتعالى بها

الأمر الثالث: الذي يزيد الإيمان ويقويه النظر في آيات الله الشريعة والكونية بالنظر في آيات الله الكونية يزيد العبد علمًا بما أودع الله في هذا الكون الفسيح من العجائب والحكم العظيمة فيزداد بذلك إيمانًا و يقينًا وثباتًا والله تعالى قد أمرنا بالنظر في مخلوقاته وبالنظر في السماوات والأرض وما فيهما قال تعالى: **﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾**.

أمرنا الله تعالى أن ننظر إلى هذه المخلوقات والتي تدل على عظمته وكبريائه وتدل على رحمته جل وعلا والنظر هنا هو نظر تأمل وتدبر وتفكر؛ وأما النظر في آيات الله الشرعية من الكتاب والسنة فإن فيها ما يبهر العقول من الحكم والأسرار والمعاني التي لو تأملها العبد لزداد يقينًا بربه وخالقه فعلى المسلم أن يتدبر كتاب ربه وأن يتفهم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن فعل ذلك زاد إيمانه ويقينه بربه ولن يشعب من تلاوته كتابه تبارك وتعالى ولن يشعب من تعلم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ومما يزيد الإيمان ويقويه كثرة الطاعات وإحسانها وإتقانها: فكلما ازداد المسلم طاعة لربه كلما ازداد إيمانًا وقربًا من ربه تبارك وتعالى وزادت بذلك سعادته وبالمقابل عليه أن يتجنب معاصي الله فإنها تُنقص إيمانه وتضعفه وتبعده عن ربه عز وجل فالإيمان أيها الإخوة الإيمان بالله والعمل الصالح يُثمر محبة الله للعبد ويُثمر محبة المؤمنين له ومن أحبه الله، وأحبه المؤمنون حصلت له سعادة الدنيا والآخرة وهذا هو السبب الثاني الذي يُقربك من الله أعني محبة الله لك ثم محبة عباده المؤمنين يقول الله جل وعلا: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾**.

يقول ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله - عز وجل - لمتابعتها الشريعة المحمدية - يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة." اه رحمه الله ثم ذكر حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلَ إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيَحْبِبُهُ جَبْرِيلُ فَيُنَادِي جَبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَيَحْبِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ).** وفي رواية: **(ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ)**، فذلك قول الله عز وجل: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾**.

وقال السَّعْدِيُّ - رحمه الله - : "هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم وداً، أي: محبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في قلوب وديس لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل..." إلى أن قال : "...وإنما جعل الله لهم وداً، لأنهم ودوه، فودهم إلى أوليائه وأحبابه." اه رحمه الله .

ويقول بعض السلف: "ما أقبل العبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم." ولهذا المحبة أيها الإخوة أسباب ينبغي للمسلم أن يسعى لتحصيلها وهي أيضاً سبب لسعادته في الدنيا والآخرة.

أولها: إتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته كما قال الله تبارك وتعالى: **﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾**.

فالتمسك بسنته صلى الله عليه وسلم وإتباعه وإتباع هديه سبب للسعادة في الدنيا والآخرة؛ والمؤمن المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنته وهديه على فهم أصحابه رضي الله عنهم وسلف هذه الأمة الصالحين في طمأنينة وسعادة وسكينة وإن كان قليل المال وإن ابتلي بأنواع الابتلاءات فهو في حياة طيبة وهنيئة وكذلك الأمة

إن حكمت شرع الله والتزمت سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم مكّن الله لها ونصرها على أعدائها وأسعدها وأصلح أحوال أهلها.

السبب الثاني من أسباب المحبة والسعادة: أن تكون من المتقين.

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ .

قال ابن رجب رحمه الله: "وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معصيته". اه رحمه الله

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .

يقول السعدي رحمه الله: "فكل من اتقى الله تعالى، ولازم مرضاته في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة، ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجاً ومخرجاً من كل شدة ومشقة، وكما أن من اتقى الله جعل له فرجاً ومخرجاً، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص من تبعاتها..." إلى أن قال: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ . أي: "يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به"، ثم قال: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا"، أي: "من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، وسهل عليه كل عسير" اه .

أقول: ومن كان كذلك فهو في سعادة وحضور.

الأمر الثالث الذي بسببه تحصل محبة الله للعبد ويكون به سعادته: أن يكون من المحسنين.

قال وتعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو إحسان بين العبد وربه بإتقان الطاعة وإخلاصها لله تعالى متابعا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراه يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه -يعني العبد - فإن الله سبحانه وتعالى يراه؛ ثم إحسان إلى عباد الله بالقول والفعل ففي الحديث: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً... الحديث. وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

وفي الحديث الآخر الصحيح عند مسلم: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مَعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

الأمر الرابع من أسباب المحبة والسعادة: أن يكون العبد من الصابرين.

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونًا كَثِيرًا مَّا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ .

والصبر ثلاث:

1- صبر على طاعة الله بأدائها .

2- صبر على المعصية بالابتعاد عنها .

3- صبر على أقدار الله بالتسليم والرضا لها .

وأكملها وأعلاها الصبر على طاعة الله والثبات عليها.

وبهذه الصفات الثلاث أعني: (التقوى والإحسان والصبر) ينال العبد المؤمن شرف معية الله الخاصة كما

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: معهم بنصره وتأييده وحفظه وتوفيقه لا بذاته كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ومن كان الله معه فلن يغلب يقول الشوكاني رحمه الله: "من كان الله معه فلن يغلب ومن لا يغلب فيحق

له أن لا يحزن".

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار: ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "هذه المعية توجب لمن آمن بها كمال الثبات والقوة". اهـ .

وكلما ازدادت هذه الصفات أعني: (الصبر والتقوى والإحسان) كلما ازدادت هذه الصفات في العبد المؤمن ازدادت معية الله له فالناس ليسوا سواء في صبرهم وإحسانهم وتقواهم فحفظ الله لهم يتفاضل بتفاضل أعمالهم فكلما زاد عملهم وزادت تقواهم وإحسانهم وصبرهم ازدادت معية الله تعالى لهم.

الأمر الخامس الذي هو سبب من أسباب محبة الله وسبب لسعادة العبد: أن يكون العبد من المتوكلين. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

والتوكل: صدق اعتماد القلب على الله في حصول المطلوب ودفع المrehوب أو المكروب مع الثقة بالله وبذل الأسباب المشروعة يقول ابن القيم رحمه الله: "التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإسلام ولجميع أعمال الإسلام".

والتوكل يا عبد الله علامة على صدق الإيمان وعلامة على تعظيم القلب لله وعلى تعظيم العبد لربه وعلامة على افتقار العبد إلى ربه في كل حال.

أما الأمر السادس من أسباب محبة الله للعبد سبب لزيادة الإيمان أو سبب للسعادة: أن يكون العبد من المقسطين أي العادلين.

كما قال تعالى: ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

والقسط: هو العدل فهؤلاء الموفقون المهديون الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وفي من ولاهم الله عليهم هم ممن أحبهم الله وأسعدهم تبارك وتعالى فهم أهل العدل والإنصاف ولو على أنفسهم وفي الحديث: (المقسطين على منابر من نور يوم القيامة: الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا) .

الأمر السابع: أن تكون من المتطهرين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ .

والطهارة: هنا طهارة حسية ومعنوية طهارة للبدن وطهارة للقلوب فهم المتطهرون المبتعدون عن الفواحش والآثام والمنكرات المقبلون على الصالحات والطاعات المتطهرون من الأحداث والنجاسات.

الأمر الثامن: أن تكون من التوابين.

كما في الآية السابقة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ .

والتوَّاب: صيغة مبالغة أي أن هذا العبد كثير التوبة والرجوع إلى ربه من المعصية إلى الطاعة؛ وعبودية التوبة من أحب العبوديات إلى الله وأكرمها عليه فإنه سبحانه يحب التائبين لما في التوبة من الذل والانكسار له والخضوع له والتملق بين يديه والتذلل له مما يقوي صلة العبد بربه والإقبال عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح). الحديث

فلا تيأس يا عبد الله ولو كانت ذنوبك كعنان السماء فربك تواب رحيم يفرح بتوبة عبده ويبدله بها حالاً خيراً من أحواله التي هو فيها من البلاء والشدة يبدله الله رخاءً وسعادةً وأنساً وقرباً.

وقد ذكر في حلية الأولياء أن الله تعالى: يعطي التائب أربعة أشياء:

1- حب الله له.

2- وخروجه من الذنب كأنه لم يذنب. -التائب من الذنب كمن لا ذنب له -

3- يحفظه الله من كيد الشيطان.

4- يؤمنه من النار.

وينبغي لإخوانه المسلمين أيضًا أربعة أمور:

1 - أن يحبوا هذا التائب كما أحبه الله.

2- يدعوا له بالحفظ ويستغفروا له كما تستغفر الملائكة له كما قال تعالى : ﴿ فَاعْفُرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا

سَبِيلَكَ وَفَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ .

3- وكذلك ينصحوا له كما ينصحون لأنفسهم

4- ويفرحوا بتوبته.

ولقد كان السلف الصالح رحمهم الله في فتوحاتهم الإسلامية يخبرون الناس بين الإسلام والجزية فمن اختار الإسلام كبروا تكبيرة أشد من تكبيرة الفتح فرحًا بإسلامه وهدايته كما ذكر ذلك الإمام الطبري رحمه الله في تاريخ الأمم والملوك يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في سيقاق قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه: " وفيه أي في قصته هذه دليل على أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته إلى الله وقبول الله توبته؛" لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أبشُرْ بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك). الحديث انتهى كلامه رحمه الله

الأمر التاسع: الذي يجعلك ممن يحبك الله أو هو سبب لمحبة الله والقرب منه وسعادة العبد: أن تحرص كل الحرص على فرائض الله فتعتني بها عناية شديدة ثم تتزود من النوافل وتكثر منها في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ). الحديث فمن هذا فهو قريب من ربه يسمع دعاءه ويحييه ويحفظه من شياطين الإنس والجن فإذا استعاذ به سبحانه من شئ أعاده الله منه وفي هذا سعادته وفلاحه في الدنيا والآخرة.

ثالث تلك الأسباب التي تقربك من الله: كثرة الصلاة والسجود لله وسُميت صلاة لأنها صلة بين العبد وربّه.

وبقي الكثير من الأسباب ولكن ولعلي أجملها وإذا يسر الله عز وجل أتممتها في وقت آخر ان شاء الله تعالى أقول ثالث تلك الأسباب التي تقربك من الله: كثرة الصلاة والسجود فإن العبد إذا قام يصلي فإنه يناجي ربه وكلما قويت هذه الصلة زادت سعادته وحلت عليه من الخيرات والبركات ما الله به عليم فهي أحب الأعمال إلى الله بل هي أحب الأعمال وأفضلها وفي الحديث أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله قال: (الصلاة على وقتها) الحديث.

والصلاة: يا عبد الله نور لك في حياتك ونور لك بعد مماتك ومتعلق القلب بالمساجد للصلاة فيها ولذكر الله يظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله كما ورد في حديث السبعة الذين يظلمهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم: (ورجل قلبه معلق في المساجد). وفي رواية عن الإمام مالك رحمه الله: (ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه). قال النووي رحمه الله: " ومعناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها " وفي الحديث الصحيح: (أحب البلاد إلى الله مساجدها).

فمن أحب هذه المساجد وتعلق قلبه بها أحبه الله وكفى بهذا سعادةً وأنسا أن يحبك الله عز وجل.

والصلاة يا عبد الله من أكبر العون لك على أمور دينك ودنياك كما قال تعالى: ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٠﴾

فهي الوسيلة الكبرى للقرب من الله جل وعلا وليس بين العبد وبين ذلك إلا أن يقبل على الله بوجهه حال صلاته فلا يلتفت ثم يسجد فيزداد قرباً من ربه تبارك وتعالى كما في الحديث (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد).

فيا لها من لحظات لا يحس بها إلا من وفقه الله واجتبه وأكرمه بأن يكون من الساجدين ولهذا كان سلفنا الصالحين كثيرون الصلوة وطول السجود خاصة في ظلمات الليل فالصلوة راحة وطمانينة للقلب ومناجاة للرب وأنس بخطابه وكلامه وتسلية للنفس وزوال للهموم والغموم والكروب والعبد إذا أقام الصلاة فحفظ مواقيتها وأتم ركوعها وسجودها وقراءتها وحضر قلبه فيها وخشع لله وخضع كانت أكبر عون له في حياته كلها وأعظم سبب لنهيها عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

وكثير من الناس اليوم إلا من رحم ربك لا يحققون هذا أي لا يقيمون الصلوة كما أمر الله جل وعلا فإما أن يأخروها عن وقتها وإما أنهم إذا دخلوا فيها أقبل عليهم الشيطان بخيله ورجله فوسوس إليهم فاسترسلوا مع هذه الوسواس فصرفهم وشغلهم عنها بأمور الدنيا وربما جعلهم يكثررون الحركة والالتفات فيها وقد يخرج العبد منها ولم يعقل منها إلا شيئاً يسيراً وربما لم يعقل منها شيئاً وقد قيل: المصلون كثير والمقيمون لها قليل كما ذكر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: "الحاج قليل والركب كثير".

فمن أراد الفلاح والنجاة فعليه بالخشوع في الصلاة قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

واعلم يا عبد الله أنه كلما أزدت علماً بالله ومعرفته بالله أزدت خشوعاً وإقبالاً عليه.

ومن تلك الأسباب التي تقربك إلى الله:

ذكر الله تعالى.

وأيضاً التوكل على الله وتفويض الأمور كلها إليه واعتماد القلب عليه وإنزال العبد حاجاته كلها بربه وخالقه. ومن ذلك أيضاً حسن الظن بالله ويقين العبد أن إختيار الله له خير من إختياره لنفسه فما قضاه ربه له كله

خير.

ومن أعظم تلك الأسباب :-

العلم الشرعي

والفقه في الدين

ومنها أيضاً الدعاء وذكر الله تعالى

أسأل الله أن يجعلنا من أهل السعادة في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا ممن أحبه، وحبب إليهم عباده كما أسأله أن يجعلنا من عباده المؤمنين المتقين المخلصين الصادقين التوابين المحسنين الصابرين الشاكرين وأسأله - جل وعلا - أن يغفر لي ولكم ولوالدي ووالديكم ولمشايعنا وذرياتهم والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

